الإسلام بين تكريم المرأة وتحريرها وبناء الأسرة ومواجهة تحدياتها

إعداد

أ.د/ نبيل محمد توفيق السمالوطى

أستاذ بقسم الاجتماع، كلية الدراسات الإنسانية،
جامعة الأزهر، القاهرة، مصر
والأمين العام للجمعية العالمية لأساتذة الجامعات

الإسلام بين تكريم المرأة وتحريرها وبناء الأسرة ومواجهة تحدياتها

نبيل محمد توفيق السمالوطى

قسم اجتماع، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: nabileelsamalouty.8@azhar.edu.eg

الملخص:

أسس الإسلام لأسرة قوية متماسكة متكاملة قادرة على أداء. وظائف روحية وعقلية وجسمية وبيولوجية ونفسية واجتماعية وتربوية، وأمنية، وسكانية، وسياسية لا يقوم بها مؤسسة غيرها.. الخ. وتتعرض الأسرة لمجموعة من التحديات الكبرى خارجيه وداخلية منها إعادة هيكلة وشروط بناء الأسرة ومنها: التطرف العلماني، ومنها آراء وتطبيقات الأنثوية، ومنها التفكيكية وما بعد الحداثة؛ إلى جانب الفقر والبطالة، والجهل بالدين، والأمية الفكرية والتربوية. وللإسلام أساليبه لمواجهة هذه التحديات. والإسلام أعطى للمرأة إنسانيتها وحقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والزواجية والتربوية ... الخ فالنساء شقائق الرجال لها نفس حقوقهم. حتى القوامة التي أعطاها الله للرجال لصالح المرأة. والتاريخ الحقيقي لحقوق الإنسان وحرياته وكرامته الكتاب والسنة وليست الثورة الإنجليزية والفرنسية وميثاق حقوق الإنسان.

الكلمات المفتاحية: حقوق المرأة، الكرامة الإنسانية، الأسرة الهيكلة، العلمانية التفكيكية، الأنثوية بعد الحداثة.

Islam between Honouring of Liberating Woman, and Building the Family & Confronting it's Challenges

Nabil Muhammad Tawfiq Al-Samalouty
Department of Sociology, Faculty of Humanities, Al-Azhar University, Cairo, Egypt
E-mail: nabileelsamalouty.8@azhar.edu.eg

Abstract:

Islam founded a strong, cohesive, integrated family that is able to perform jobs and duties like no any other organization can do. Such jobs and functions are spiritual, mental, physical, biological, psychological, social, educational, political, as well as functions that is related to security and population, etc…The family is exposed to a range of great challenges both internal and external such as restructuring, conditions of family-building, secular extremism, views and applications of femininity, dismantlement, post modernisation, together with poverty, unemployment, religious ignorance, intellectual and educational illiteracy. Islam has it's manners in confronting such challenges. Islam has given women their humanity and their rights; social, economic, political, marital, educational etc…As women and men are the two halves of society; so women have the same right. Even the severity that Allah, Almighty grant for men is actually for the welfare of women. The real date of human rights dignity and freedom, is the revelation of Quran and the Sunnah, and not the French or English revolutions or The Charter of human rights.

Keywords: Woman Rights, Human Dignity, Structure – Secularism, Feminine Dismantlement, Post- Modernity.

المرأة ودورها في بناء الإنسان ومواجهة الأزمات:

إن علاقة المرأة بالرجل في نظر العديد من المفكرين الغربيين هى علاقة صراع واختلاف وتنازع على الحقوق والحريات، والواقع أن الفكر الغربي بشكل عام منذ جذوره التي تمتد إلى الحضارة الإغريقية هو فكر يؤكد على الصراع، فهناك صراع بين الآلهة بعضهم مع بعض، وهناك صراع بين الآلهة والإنسان، ويكفي أن نرجع إلى أسطورة (زيزيف)، وهناك صراع بين الإنسان والطبيعة، وهناك صراع بين المرأة والرجل.. إلى غير هذا من الصراعات.

وإن هذا القصور الصراعى للكون والإنسان يرفضه الفكر الإسلامي تماما فالله الخالق هو الذي أعد الكون مناخاً وتربة وأنهارا وكل مكونات الكون قبل الإنسان لتكون في خدمة الإنسان. **قال تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) البقرة: الآية (٢٩).**

فالكون معد للإنسان وقضاء احتياجاته والإنسان مكلف بعمارة الأرض، ومكلف بمعرفة سنن وقوانين الكون والتاريخ والإنسان، لزيادة طاقاته وقدراته الإيمانية، وللاستفادة بالمسخرات العديدة التي سخرها الله للإنسان في الأرض والبحر والجو.

وعلاقة المرأة بالرجل في الإسلام وثيقة جدا، لأنهما خلقا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها. **قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء: الآية(١)**

والاختلاف بين المرأة والرجل هو اختلاف في الأدوار والمهام والوظائف، وهذا الاختلاف هو الذى يؤدى إلى التكامل وبناء الأسرة وإنجاب الأبناء وإعمار الكون هو ينبع من التنشئة السليمة للأبناء على العقيدة والقيم والأخلاق والسلوكيات والعلاقات الإنسانية التي من شأنها إعمار الكون وتنمية المجتمعات وبناء الأوطان وتحقيق التكامل والأمن والسلام والتقدم في كل المجتمعات، وبين هذه المجتمعات ،وسوف نعالج في هذا البحث الأهمية المركزية للأسرة في حياة الإنسان والمجتمعات والأوطان، ثم نعالج الاتجاهات العالمية لتفكيك مؤسسة الأسرة، وأساليب مواجهتها. وأخيرا نعالج العطاء الإسلامي في مجال_تحرير المرأة (واختلافه العميق عن تحرير الغرب للمرأة، فهي في الإسلام إنسان شقيقة للرجال، أما فهي الغرب في كيان مادي يستهدف إشباع الرجل، كما يستهدف إنتاج وتسويق الإعلام والسلع والمنتجات المادية.

ثالثا: الأسرة المسلمة وما يواجهها من تحديات:

أولاً: حول مؤسسة الأسرة كضرورة اجتماعية وثقافية:

نحن لسنا في حاجة إلى تأكيدا الإسلام تركيزاً شديداً على الأهمية القصوى لمؤسسة الأسرة، بوصفها الأساس الأول لبناء الفرد وبناء الجماعة، وبناء المجتمع المحلي والعالمي، وهي المرتكز الأساس للتنشئة الاجتماعية التي تؤهل الأفراد لوظيفة الاستخلاف وعمارة الأرض، والدعوة إلى الله، وتنفيذ التكاليف الشرعية، وتطبيق قيم الحق والعدل والمساواة، والدفاع عن منظومة القيم العليا ومكارم الأخلاق والدفاع عن المستضعفين والأسرة في الإسلام هي المسئولة عن تحقيق مجموعة من الوظائف التي لا يمكن لأى من المؤسسات الأخرى القيام بها، وأهمها ما يلي:

١ - **وظيفة إرضاء الله وتنفيذ ما أمر به:** فالزواج أمر إلهي، **وقد وجه رسولنا الكريم ﷺ إلى التبكير به في قوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج..) الحديث. وقال: (تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة.)** وهو آية من آيات الله في الخلق.

٢- **الوظيفة النفسية:** وهي إشباع حاجة الإنسان" ذكراً أو أنثى" إلى الحب العفيف، وإلى السكن والمودة والرحمة والاستقرار النفسي والاطمئنان بوجوده داخل جماعة قرابية تحبه ويحب أعضاءها. **قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم: الآية (٢١).**

٣- **وظيفة إشباع الحاجات الجسمية البيولوجية للإنسان بطريق يرضى الله ورسوله ﷺ** .. فقد اقتضت إرادة الله أن يخلق الإنسان من قبضة من طين هي أساس الجانب المادي الشهوى للإنسان، ومن نفخة من روح الله، هي أساس الجانب الروحي للإنسان، وحاجته للارتباط بالله الخالق الرازق البارئ المصور الرحمن الرحيم... فالإنسان ليس مثل الملائكة (أرواح خالصة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)، وليسوا شهوات خالصة مثل الدواب والأنعام.

وهذا الإعجاز في خلق الله للإنسان جعل الإنسان يسعى لإشباع شهواته، ولم ينكر عليه الله هذا الإشباع؛ لأنه هو الذي خلقه على هذا النحو، لكنه سبحانه وتعالى نظم له الطرق النظيفة العفيفة المشروعة لإشباعها من خلال النكاح الشرعي **قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ...) آل عمران: الآية (١٤). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا**

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (النساء – الآية:١) وقال تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ) (البقرة – الآية: ٢٢٣)

٤- **وظيفة إشباع الحاجات الفطرية(الغرائز) التي أودعها الله في الإنسان،** وهي الحاجة للولد وحب الإنجاب والفرح بالذرية، فهناك غريزة الأمومة، وهناك غريزة الوالدية. **يقول تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (الكهف – الآية: ٤٦)**

٥- **إنجاز الوظائف التربوية:** فقد اقتضت مشيئة الله أن تكون الطفولة الإنسانية أطول طفولة بالنسبة لكل المخلوقات، واقتضت أيضا أن تكون غريزة الجنس عند الإنسان مستمرة على مدى العام كله، وليست موسمية كما هي عند الحيوانات، وهذا أحد العوامل المهمة التي تقوم عليها الأسرة المستقرة القادرة على تربية النشء وإعدادهم الإعداد الجيد جسميا، ونفسيا، وعاطفيًا، واجتماعيا، وقبل هذا غرس العقيدة الصحيحة، وغرس القيم العليا ومكارم الأخلاق والسلوكيات القويمة، من خلال مجموعة من الآليات والأساليب، وفي مقدمتها القدوة الصالحة، والحوار الذي يراعى القدرة على الاستيعاب للنشء، وتوفير الجو النفسي والروحي والاجتماعي الذي يكتسب النشء من خلاله القدرات والقيم والسلوكيات والمعارف التي تسهم في تشكيل شخصيته روحياً وجسمياً ونفسياً واجتماعيا ومهنيا... إلخ.

٦ –وإذا كانت الأسرة في الفكر الإسلامي هي المسئولة عن تشكيل الإنسان الصالح، والمواطن المخلص لدينه ووطنه، فإنها تقوم بوظائف إشباع الحاجات الاقتصادية لأعضاء الأسرة من غذاء وشراب وملبس ومختلف الوظائف الاقتصادية للأب والأم والأبناء.

٧- **هناك الوظائف السياسية:** فالأسرة هي التي تشكل التوجه السياسي عند الأبناء، فإذا كنا نتحدث عن ثقافة الحرية وثقافة الاستبداد، وعن ثقافة الديمقراطية والحوار وثقافة التسلط والانفراد بالرأي، وعن أدب الحوار، وأدب الاختلاف، وثقافة النقد المستنير، فإن الأسرة هي المسئول الأول عن غرس وتنمية هذه التوجهات المتناقضة لدى الأبناء، فالنموذج السلطوي للأب ومدى سماحه للأبناء بالحوار والمناقشة والنقد والمعارضة ينعكس على شخصية الأبناء وموقفهم من كل نماذج السلطة فيما بعد، اعتباراً من سلطة المدرس ورئيس العمل، إلى السلطة المتصلة بالدولة حكومة ورئاسة.

٨- **هناك الوظيفة الاجتماعية والديمغرافية.:** فالأسرة هي المؤسسة الشرعية والقانونية الوحيدة للإمداد المجتمع بأعضاء جدد، وبالتالي استمرار المجتمع سواء على المستوى الديموغرافي أو على مستوى الاستمرار الثقافي (اللغوي والثقافي والتنظيمي والقيمي والسلوكي) كل هذا يعنى أن مؤسسة الأسرة، وهى مؤسسة أثبتت كل الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية أنه لم يخل منها مجتمع ،هذه المؤسسة تحقق أهدافًا جوهرية وحيوية تتصل بالأمن الديني والقيمي، والأمن الاجتماعي، والثقافي والنفسي، والسياسي والاقتصادي، فضلاً عن الأمن الديمغرافي والبيولوجي.

ثانيا: الاتجاهات العالمية لتفكيك مؤسسة الأسرة:

تُرتكب العديد من الأخطاء بل من الجرائم تحت عنوان أو واجهة ضرورة التجديد في الحياة الاجتماعية وفى مجال العلاقات الإنسانية، ومنها التجديد في مجال الأسرة.

إن ديننا الحنيف يؤكد على أهمية التجديد؛ لمتابعة متغيرات كل عصر، **ورسولنا العظيم**ﷺ **يقول: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها"**، لكن التجديد في المنظور الإسلامي يعنى التوافق مع متغيرات العصر، وضبطها بالضوابط الشرعية وإطلاق كل طاقات التقدم الإنساني والاجتماعي والعلمي والتقني، القادرة على تحقيق واجبات الاستخلاف في الأرض، وتحسين نوعية حياة الإنسان على الأرض في ظل مجموعة من الثوابت التي تدفع إلى الأمام والتقدم، وتحول دون الانحراف، أو الصراع أو التصادم أو الزيغ عن جادة الطريق، **إذن هناك ثوابت نحصرها في خمس:**

١ - **الأصول العقائدية:** وهي أركان الإيمان الستة وأركان الإسلام الخمسة.

٢ - **المقاصد الشرعية:** وهي حفظ وحماية الدين والنفس والعقل، والمال والعرض.

٣- **الأحكام القطعية الثبوت والدلالة:** مثل تحريم الزنا، والغش، والاحتكار، والرشوة.

وهناك أحكام قطعية محددة في مجال الأسرة يتحدث فيها الفقهاء.

٤ - **البناءات القيمية والأخلاقية وهي الحق والعدل والإخلاص، ومراقبة الله في السر والعلن.**

٥- **الفرائض والعبادات المفروضة شرعاً:**

إذن.. أي تجديد في مجال الأسرة أو غيره لابد من الالتزام، بل والانطلاق من هذه الثوابت، التي تعد أساساً محافظة للسواء ومانعة من الانحراف.

والمتابع للتطورات العالمية في مجال الأسرة في الغرب والشرق يمكنه أن يرصد مجموعة من المتغيرات، ومحاولات التجديد تمثل أقصى درجات

الخطورة على بنائها، وعلى وظائفها وعلى دورها في المجتمع، سواء دورها النفسي كأساس يحقق المودة والرحمة والسكن، أو دورها الإنجابي بإمداد المجتمع بأعضاء شرعيين حتى لا ينقرض النوع الإنساني، أو دورها التربوي والذي يتمثل في نقل ثقافة وعقائد وقيم ومعرفة الأجيال السابقة للأجيال القادمة أو دورها الأمني، سواء الأمن النفسي والصحة النفسية، وتحرير الإنسان من القلق والتوتر والصراعات، أو دورها المادي بوجود الإنسان داخل بناء من الحب والقبول يطمئن فيه على حياته ويؤمن فيه مستقبله، حيث يضمن الرعاية الاجتماعية والنفسية والمادية في حالة الشيخوخة أو العجز أو المرض.. هذا بالطبع فضلاً عن الوظائف الأخرى للأسرة كالوظائف الاقتصادية والسياسية.

ونستطيع أن نذكر أهم هذه المخاطر التي تواجه الأسرة على المستوى العالمي باسم التجديد والتغيير والتطوير والتحديث والعصرنة وما شابهها من مصطلحات براقة فيما يلى:

أولاً: إعادة صياغة أو إعادة هيكلة الأسرة، وإعادة مفهومها، وإعادة بناء القيم والمعايير والمبادئ المؤسسة لمؤسسة الأسرة،و نحن نعلم أن كل الأديان السماوية – بل وأغلب الأديان الوضعية تؤسس الأسرة على أساس ديني كرابطة أو عقد بين رجل وامرأة، يقوم على أساس المعايير والأركان الشرعية في كل دين، يترتب عليه حقوق وواجبات أو التزامات على كل طرف من أطراف العلاقة "الرجل والمرأة"، وهذا العقد يركز على القبول الديني، والقبول الاجتماعي من المجتمع وأهل كل من الزوج والزوجة، وعلى الإيجاب والقبول والإشهار وشهادة الشهود، وضرورة وجود ولى الزوجة، والصداق.. إلخ. لكننا فوجئنا خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة بتعريفات جديدة لمؤسسة الأسرة تروج لها بعض المؤسسات الدولية كأجهزة الأمم

المتحدة وبعض مؤسسات المجتمع المدني العالمي، حيث تعيد تعريف الأسرة بأنها رابطة اختيارية بإرادة حرة بين أي اثنين يرغبان في الارتباط والمعيشة المشتركة، **وهذا يعنى إسقاط عدة أسس وعدة معايير مهمة عند تعريف الأسرة، أهمها:**

١-إسقاط شرط الانطلاق من دين أو بناء شرعي.

٢- إسقاط شرط أن يكون أحد أعضاء العقد ذكر والآخر أنثى، حيث يمكن أن تتألف الأسرة من اثنين من الذكور (لواط)أو اثنتين من الإناث (سحاق)

٣- إسقاط *أهمية* رضاء الأهل، خاصة ولى أمر المرأة.

٤ - إسقاط شرط القبول الاجتماعي أو الإشهار أو الإعلام الثقافي عن إتمام الزواج.

٥- إسقاط ما يترتب على هذا العقد من حقوق وواجبات.

٦ -إسقاط حق ما يترتب على هذه الولاية من أبناء، هم في هذه الحالة أولاد غير شرعيين، يمكن أن تتكفل بهم الدولة أو مؤسستها المدنية.

ومن المؤسف أن هذا النوع المستحدث من الأسر يمارس فعلاً في الغرب والشرق تحت شعارات براقة مثل: حرية استخدام الجسد والحريات الشخصية، ورفع الوصاية، سواء الإلهية أو البشرية أو الاجتماعية والقيمية عن الناس، ومن المؤسف أكثر أن بعض الكنائس في الغرب تبارك أحيانًا هذا الزواج المثلى، بل وتسمح أن يعقد مثل هذا الزواج داخل الكنائس (حالة هولندا).

ثانيا: التطرف فى العلمانية: والذي يعنى إسقاط كل المقدسات الدينية وكل الثوابت الشرعية عند تنظيم مؤسسات المجتمع بما فيها مجتمع الأسرة، والحضارة الغربية لها مجموعة من السمات التي تختلف جذريًا عن الحضارة

الإسلامية، وأهمها سمتين: الأولى: التصور الصراعي للحياة والعلاقات والنظم الاجتماعي، وهذا التصور يرجع لجذور الحضارة الغربية عند الحضارة الإغريقية، فالكهنة في صراعات، وطبقات المجتمع في صراع والشعوب في صراع، وتاريخ المجتمع الغربي هو تاريخ الصراع بين الآلهة وبين الطبقات وبين القيم وبين الدول المستعمرة وبينها وبين المستعمرات.. وقد امتد هذا التصور الصراعي إلى مؤسسة الأسرة، فهناك صراع بين المرأة والرجل، وبين الأدوار التي يقوم بها كل منهما. أما السمة الثانية للحضارة الغربية التي انعكست سلبًا على بناء وظائف مؤسسة الأسرة، فهي سمة التطرف فأوروبا في القرون الوسطى ساد فيها التطرف الكهنوتي الديني، حيث سادت الكنيسة وساد البابوات، وتم رفض كل ما يتصل بالعلم والعقل، والاجتهاد البشرى، فالحكم الكهنوتي هو الحكم الوحيد المقبول.

وقد تعرض العديد من العلماء والمفكرين للقتل والحرق وراحوا شهداء محاولة التفكير العقلاني الحر، مثل: جيوناردو برونو، وجاليليو، وغيرهما، ومع بزوغ عصر النهضة، سادت قيم العلم والعقل على حساب قيم الدين والشرع، وعلى حساب الثوابت والموروثات الثقافية، وظهر تطرف من نوع آخر هو التطرف في إعلاء وتقديس الإنسان وتقديس العقل، وإسقاط كل ما يتصل بالألوهية والقيم والأخلاق الدينية، وقد انعكس هذا سلبًا على مؤسسة الأسرة، حيث سادت الحريات المطلقة التي أدت إلى تفسخ وإسقاط الثوابت الدينية التي تقوم عليها مؤسسة الأسرة. هذه الحرية غير المنضبطة أدت إلى سيادة ما يطلق عليه حرية استخدام الجسد، وحرية الممارسات الجنسية خارج الزواج، وقبول الأطفال غير الشرعيين، ولم يعد يشار إليهم بهذا المصطلح، والأكثر من هذا ظهر ما يسمى بـ" حقوق المراهقين "والمراهقات الجنسية، وحرية الممارسات الجنسية الشاذة مثل الجنسية المثلية بين الذكور

أو بين الإناث. وقد أسسوا جمعيات ومنتديات للدفاع عن حقوقهم، وقد حصلوا على هذه الحقوق (التي لا تستند إلى أي أساس مشروع، والتي تعد انحرافات في الديانات السماوية، سواء على المستوى السياسي أو القانوني أوالاجتماعي.) وقد كان لهذا انعكاساته على مؤسسة الأسرة.

ومن أهم مظاهر هذا التطرف العلماني:

(أ) ظهور مفهوم العلوم الإنسانيةHumanities ، وهي تعنى في أوروبا بعد عصر النهضة انفصام العلاقة بين كل العلوم التي تدرس للإنسان، كعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد وعلم النفس، وعلم الإنسان، وعلم الأسرة، وبين المنطلقات والثوابت الشرعية. وهنا أصبح كل ما يتصل بحياة الإنسان وعلاقاته ونظمه وتنظيماته وضوابطه وجماعاته ومجتمعه أمر يتصل بالعقل والاجتهاد البشرى، ولا شأن له بالدين، أو المقدسات الدينية، أو الجوانب الروحية، أو الأخلاقية. ولا شك أن مؤسسة الأسرة من أهم الخصوصيات الإنسانية التي فصلت عن ضوابطها الشرعية وعن القيم الدينية والأخلاقية والجوانب الروحية.

(ب) **عقدت في أوروبا** – خلال القرن السابع عشر والثامن والتاسع عشر – العديد من الاجتماعات والمؤتمرات لمناقشة مجموعة من الأمور العجيبة، مثل: هل المرأة إنسان أم شيطان، وبعض الاجتماعات توصلت إلى أنها شيطان، وأنها المسئول الأول عن الخطيئة الأولى وإخراج آدم من الجنة. هذه الخطيئة التي ظلت ملازمة للإنسان، واحتاجت إلى المسيح المخلص وإلى التوبة والإنابة وإلى الكثير من الطقوس التطهيرية. ومن المعروف أن الإسلام لا يحمل حواء مسئولية الخطيئة في الجنة، وعلى العكس فإن كل النصوص القرآنية إما أنها تحمل آدم وحده مسئولية الخطيئة. **قال تعالي (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ)**

(طه- الآية: ١٢١)، أو يحملهما معا مسئولية تلك الخطيئة **(فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ) (طه- الآية: ١٢١)**، وهذا يعنى أن المسئولية إن لم تكن على آدم فهي عليهما معا أي آدم وحواء.

والمرأة في النظرة الإسلامية إنسان مثله مثل الرجل سواء بسواء، خُلقا من نفس واحدة، **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف والنساء شقائق الرجال)، وهذا حديث عن الرسول. ﷺ يقول تعالى في أول سورة النساء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ) (النساء- آية: ١). وقال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ويقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (التوبة – الآية: ٧١)**. فالنساء لهن نفس الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمدنية للرجل سواء بسواء. وهذا على عكس ما كان سائداً في الفكر الكنسي الكهنوتي الغربي خلال العصور الوسطى. وفى مقابل هذا التطرف والتمييز ضد المرأة، ظهر بعد عصر النهضة نوع من التطرف المضاد، وهو الإعلاء المفتعل لشأن المرأة ومنحها حقوقاً مطلقة إلى درجة التسيب والانحراف والتطرف، مما انعكس سلبًا على مؤسسة الأسرة، حيث تراجعت هذه المؤسسة، وتزايد معدل العزوف عن الزواج، وكذا الزواج خارج الكنيسة، وانتشر الفساد والفسق الأخلاقي والشذوذ الجنسي بدعوى كاذبة هي حقوق الإنسان.

(ج) المرأة في الغرب تفقد اسم أبيها بعد الزواج وتنسب إلى زوجها، كما أن أجر المرأة التي تعمل مثل الرجل تماماً، بل ربما يصل إلى نصف أجر الرجل، صحيح أن هذا بدأ يتغير لكنه ما يزال ممارساً في مناطق عديدة من الغرب.

(د) أصبحت المرأة في الغرب تستخدم لأغراض ليست راقية، ولا تحفظ للمرأة كرامتها وعفتها كما أراد الله وشاء، فأهم وظائفها في الغرب إمتاع الرجل، وتوظف لهذا الإمتاع (البغاء، والدعارة، والرفقة السيئة) كما توظف في خدمة رجال الأعمال وتسويق المنتجات والإعلان عنها، وتشغل وظائف في السكرتارية والعلاقات العامة، وتقوم بأداء أعمالها بلا ضوابط دينية أو أخلاقية، بل وتستخدم أيضا في الأمور المحرمة كـ البغاء وترويج المخدرات والقمار.. . إلخ.

كل هذا تحت مسميات زائفة مثل: تحرير المرأة، وتحت دعاوى زائفة مثل: حق المرأة في استخدام جسدها، والتمتع بجمالها وحقها في الأناقة والمظهر الحسن... إلخ. وتحت هذه الدعاوى نجد أن المرأة تعرض في محلات للدعارة وتحصل على رخص رسمية بهذا.

(هـ) على الرغم من كل هذه المزاعم، نجد أن الغرب يمثل أعلى نسبة في ممارسة العنف ضد المرأة، فالإحصاءات التي تخرجها بعض جمعيات حقوق الإنسان تشير إلى أن امرأة من بين كل أربعة نساء تتعرض للعنف بالضرب، وأن معدلات التحرش الجنسي، بل ومعدلات الزنا بالمحارم عالية في الغرب، تحت تأثير الخمور والمخدرات والانحلال الخلقي، وإقصاء الضوابط الدينية عن واقع الحياة الاجتماعية.

وكرد فعل متطرف لهذا الاتجاه الذكوري الذي ساد في القرون الوسطى الأوروبية ظهرت حركات أنثوية وظهرت العديد من الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني التي تطالب بالحقوق المطلقة للمرأة، وهناك المؤلفات العديدة في هذا الصدد مثل كتاب (أنثوية العلم) الصادر عن سلسلة عالم المعرفة في الكويت.

(ز) يجب الإشادة بموضوعية كاملة إلى أن هذه الاتجاهات التسيبية المتجردة من الضوابط الدينية السائدة لدى قطاعات واسعة من المجتمعات الغربية تقابلها اتجاهات محافظة تلتزم بالحفاظ على مؤسسة الأسرة، وعلى تماسكها وتكاملها وأدائها لوظائفها في تحقيق الأمن الروحي، والأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والنفسي، والإنساني... وفي مقدمة هذه المؤسسات الدينية مثل: الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الأرثوذوكسية والكنائس الإنجيلية، هذه المؤسسات تدافع عن مؤسسة الأسرة وعن الروابط الأسرية.

ثالثا: ظهور اتجاه في الغرب يتزايد حدة وقبولاً، وهو ما يطلق عليه (الإنثوية) Feminism والذي يحاول الإعلاء غير المنضبط أو المنفلت من شأن المرأة، والتخلص مما يطلق عليه هيمنة الرجل أو صورة المجتمع الأبوي أو سيطرة الذكور في المجتمعات الإنسانية، وهو يحاول إعادة تحرير المرأة لتتخلص من كل الضوابط القيمية والأخلاقية والشرعية لممارسة حرياتها الجسمية والنفسية والاجتماعية والسياسية دون قيود وهنا يصبح:

(أ) ارتباط المرأة بمؤسسة الأسرة نوع من العبودية لها.

(ب) زواج المرأة وارتباطها برجل نوع من العبودية لها.

(ج) إنجاب المرأة نوع من العبودية.

(د) رعاية المرأة لزوجها وأولادها ووقوف نفسها عليهم شكل من أشكال العبودية.

(هـ) للمرأة الحق في كل أشكال الحرية ومنها حرية استخدام الجسد وحرية الارتباط بأنثى مثلها (السحاق).

(و) طاعة المرأة لزوجها ووقفها نفسها عليه وحده دون سواه هو شكل من أشكال العبودية.

رابعا: اتجاه تبنته بعض فئات المجتمع الغربي أطلق عليه اتجاه التفككية Decostruc tion –أو Deconstructionism . هذا الاتجاه ينحو نحو تفكيك المجتمع التقليدي بمؤسساته ونظمه، وصولاً إلى مجتمع متحرر من أسر الماضي، وأسر التقاليد وأسر النظم المكبلة التي ثبت فشلها في نظرهم،ومن هذه النظم، نظام الأسرة أو مؤسسة التي تمثل – في نظرهم – قيداً على حرية الرجل والمرأة والأبناء، فهى مؤسسة تمثل القيد والسجن والاستعباد لكل من المرأة والرجل، كذلك فإن هذا الاتجاه يحاول تفكيك المؤسسة الدينية التي تفرض على الإنسان قيوداً عقائدية وقيمية وسلوكية لا حصر لها، ونفس الأمر ينطبق على مؤسسة الدولة، وهذا الجانب تبنته مجموعة تمثل فيما أطلق عليه الفوضوية، وهو اتجاه تبنته الماركسية في بعض جوانبها، حيث سعت في النهاية إلى إسقاط الدولة بوصفها جهاز طبقي منحاز دائماً لأصحاب وملاك أدوات الإنتاج ضد الطبقة الكادحة، وتفكيك المؤسسات الدينية لأنها مخدرة للشعوب، وتفكيك مؤسسة الأسرة وإطلاق العنان.. ولا يهمنا Anarchism الاسترسال في اتجاه التفككية، لكننا سنكتفى هنا بالقول أنه اتجاه في الغالب مناهض لمؤسسة الأسرة، كما نجد أن دول الغرب تحاول تطبيقه فى مجال التعامل السياسي والعسكري مع دول العالم النامي، ولعل محاولات تفكيك العراق والسودان والمغرب العربي على أساس عرقي أو قبلي أو فئوي أو ديني أو قبلي، ليس إلا امتدادا لهذا التوجه الخطير في الفكر الغربي.

خامسا: اتجاهات وتطبيقات الحداثة وما بعد الحداثة.. حيث تمثل اتجاهات الحداثة Modern ism–، وما بعد الحداثة Post Modernism خطرًا كبيرًا على مؤسسة الأسرة؛ لأنها اتجاهات تهدم الأسس الدينية والقيمية والأخلاقية لهذه المؤسسة، بوصفها رباط مقدس وميثاق غليظ، ورابطة

الحداثة شرعية تستند إلى معيارية الدين والأخلاق. فقد حدث تغير في بنية المجتمع العالمي من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، وهو يمثل خطراً أكبر على مؤسسة الأسرة، سواء على مستوى بنائها، أو وظائفها. فقد قامت الحداثة في الفكر الغربي على مجموعة من المبادئ التي تمثل مشروعا حضاريًا علمانيا في مواجهة المشروع الحضاري الديني وأهم هذه المبادئ:

(أ) الفردية: استهدفت انتشال الفرد من الذوبان في بنية المجتمع الإقطاعي السابق على الرأسمالية، وانتشاله من الذوبان في بنية الفكر الديني (النظام الكنسي خلال القرون الوسطى الأوروبية)، حيث كانت الهيمنة للإقطاعيين وآباء الكنيسة، وكان بينهما تحالف غير مقدس لقمع حرية التفكير والتعبير والاعتقاد والعمل والإنتاج والسعي للثراء وتحسين مستوى ونوعية الحياة في الدنيا، هكذا ضاعت ذاتية وقيمة الفرد، وهكذا كانت محاولة استعادة هذه الذاتية والهوية الفردية.

(ب) العقلانية: وتعنى الاعتماد على العمل مصدراً وحيداً للمعرفة والمعلومات والعلم، أو على الأقل اعتماد العقل مصدراً للتشريع فى حياة المجتمع والعلاقات الإنسانية، مع استبعاد الدين وعزله عن الحياة الدنيا وعن الحياة الاجتماعية، وعن العلاقات الإنسانية، وعزله وراء جدار حديدي كعلاقة فردية بين العبد وربه، ولا شك أن العقلانية Rationalism ترتبط بالرأسمالية والمشروع الفردي والمشروع الحر، وقد فصل ماكس فيبر في قضية العقلانية وفي علاقتها بالرأسمالية.

(ج) الارتكاز على العلم المادي التجريبي، وعلى التكنولوجيا وهي الجانب التطبيقي للعلم، وخاصة بعد تحولها إلى منظومة لها استغلالها تصنع القيم المادية والاقتصادية، والاعتماد على هذا النوع من العلم والتكنولوجيا في مواجهة مشكلات الإنسان والمجتمع والعلاقات.

(د) اعتماد المنهج الوضعي منهجاً وحيداً لفهم وبحث قضايا العلوم الإنسانية والاجتماعية، فكل ما يوجد بمقدار، وكل ما يوجد بمقدار يمكن قياسه، وما لا يمكن قياسه يخرج عن دائرة البحث العلمي ليصنف في دائرة الفكر الغيبي أو الخرافي أو الأسطوري المرفوضة عند الحداثيين، أو على الأقل المستبعدة من دائرة التشريع للإنسان وللمجتمع وللعلاقات.

(هـ) تبنى اتجاه التقدم في خط واحد صاعد لكل جهود المجتمع والإنسان والتاريخ. (و) فصل الدين عن الحياة والمجتمع والقانون والممارسات اليومية، هذا التيار الحداثي لا يستبعد الدين والقيم الدينية تماماً، ولكنه يفصلها عن دائرة المجتمع والعلاقات الاجتماعية والدولية، وهنا يجب ألا تكون العوامل الدينية والأخلاقية فاعلة في مجال علاقة الرجل والمرأة أو عند بناء الأسرة، أو عند الحديث عن وظائفها، أو عند مناقشة النظم التربوية... . إلخ.

وبعد اتجاه الحداثة الذي يفصل الدين عن الدنيا، جاء اتجاه ما بعد الحداثة للإجهاز على البقية الباقية مما تبقى من الدين والقيم الأخلاقية، وهنا سقط كل ما تبقى من الأنساق الفكرية المغلقة Metanaratives التي تأخذ شكل أنساق فكرية، وأيديولوجيات كلية تزعم أنها تملك الحقيقة المطلقة، مثل الماركسية الجامدة والرأسمالية المتطرفة والأديان والمذاهب الدينية الأصولية المتشددة، وفي مقدمتها عندهم ما يسمى (الأيديولوجية الإسلامية) وبسقوط هذه الأيديولوجيات الدينية وكل المقدسات والمنطلقات والدخول في عصر الأنساق الفكرية المفتوحة، وسقوط كل الثوابت، وكل المنطلقات وكل الضوابط المسبقة، وكل المعايير التي تعد بمثابة موازين يحكم بها على السلوك أو العلاقات أو النظم أو المؤسسات، انطلق الفكر الإنساني للتأليف بين ما كان يظن أنه متناقضات، وسقطت كل المقدسات

وفي مقدمتها المعايير والمبادئ والقيم والمعتقدات التي تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة.

سادساً: المتغير السادس الذي يهدد بناء ووظائف مؤسسة الأسرة هو فرض العولمة Glabali zation– بتجلياتها السياسية والاقتصادية، والتكنولوجية والثقافية والاجتماعية. وهي في التحليل الأخير تعنى هيمنة الدول الأغنى اقتصاديا والأكثر تقدما علميا وتكنولوجيا – وهى مجموعة الدول الثمانية ومعها بعض الدول الأكثر تقدماً كاليابان والدول الساعية بجد للتقدم كالصين وكوريا وسنغافورة على مقدرات الدول النامية والفقيرة، ومعناها أيضا أن هذه الدول الأخيرة ليس أمامها إلا أحد أمرين: إما العمل الجاد للتقدم العلمي والتقني والمعلوماتي بإرادة سياسية واجتماعية ومدنية جادة، وإما الاستقالة من الفعل والوجود التاريخي وتحولها إلى شعوب متفرجة. وبما أن كل محاولات التنمية الجادة في الدول النامية لا يمكن أن تتحقق إلا مروراً بالأجهزة الدولية كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ونادى باريس، وسوق التكنولوجيا والمعلوماتية العالمية، وهذه الأجهزة والمؤسسات تسيطر عليها الدول الغربية المهيمنة، فإنها لا تجعل التحول للتقدم أمراً سهلاً أمام الدول النامية؛ لأن هذا يتناقض مع مصالحها المشروعة وغير المشروعة.

ولا شك أن ما تفرضه هذه المؤسسات الائتمانية الدولية، وما تفرضه الدول الأخرى من هيمنة ومن شروط على المجتمعات النامية تؤدى إلى برامج الخصخصة وإعادة الهيكلة، وإغلاق العديد من المشروعات، وزيادة معدلات البطالة بنسب مخيفة تصل إلى ٣٠٪ من القوة العاملة.. كل هذا ينعكس على شباب وخريجي المدارس والجامعات والمعاهد في الدول النامية، حيث يعجز الشباب عن تكوين أسرة، ويصبح عاجزاً عن تلبية

مطالب بناء أسرته من مهر وشبكة وشقة ونفقات، وهذا ما أدى إلى ارتفاع نسبة العنوسة إلى معدلات مخيفة في الدول النامية والعالم العربي بما يزيد عن ٣٠٪ من الفتيات كبر سنهن ولم يتزوجن، كما أدى إلى ارتفاع نسبة الطلاق وهو يقترب من نسبة العنوسة كل هذا يهدد مؤسسة الأسرة. ٢٥٪.

وهناك جانب آخر للعولمة يهدد مؤسسة الأسرة وهو محاولة فرض قيم وأخلاقيات وسلوك المجتمع الغربي على دول العالم، وهو ما يطلق عليه "العولمة الثقافية". **هذا الشكل من الهيمنة الثقافية الغربية يحاولون فرضه من خلال عدة آليات أهمها:**

آلية التوصيات الملزمة التي تخرج بها المؤتمرات الدولية مثل مؤتمر السكان والتنمية الذي عقدته الأمم المتحدة في مصر عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عام ١٩٩٥م، والقمة الاجتماعية بكوبنهاجن عام ١٩٩٧م، ثم بمتابعة هذه المؤتمرات مثل مؤتمر بكين + ٥ عام ٢٠٠٠م، ثم بكين + ١٠ عام ٢٠٠٥م. هذه المؤتمرات تتبناها أجهزة الأمم المتحدة ومؤسسات المجتمع المدني العالمي، وتخرج بتوصيات مصادمة للثقافة الدينية عموماً إسلامية ومسيحية. صحيح أن هناك تحفظات عليها من جانب مؤسسة الأزهر وبابا الفاتيكان والكنيسة القبطية المصرية، وبعض المؤسسات الدينية، لكنها كتوصيات تؤخذ في الحسبان عند تقرير المساعدات والمنح والقروض الاقتصادية والعسكرية التي تقررها الدول الغربية، وتقررها مؤسسات التمويل والائتمان الغربية كالبنك الدولي ومؤسسة النقد الدولي للدول النامية.

والفاحص لهذه التوصيات يجد أنها تركز على مجموعة من الأمور التي تهدد مؤسسة الأسرة في بنائها ووظائفها مثل:

- حرية ممارسة الجنس خارج الزواج.
- رفع وصاية الآباء على الأبناء.

- إباحة حق الإجهاض للفتيات.
- حرية استخدام الجسد لكل من الذكور والإناث بمعنى ممارسة اللواط، والسحاق.... إلخ.
- عدم التقيد بالمبادئ والمعايير الدينية في تكوين الأسر.
- تمكين الزواج المدني للمرأة ورفع كل الضوابط والقيم المكبلة لحرية الارتباط بين الذكر والأنثى.

وهكذا يتبين لنا ما في الغرب من سياسات تحاول طمس دور المرأة في بناء الإنسان وتفكيك الأسرة بزعم الحرية والديمقراطية، فضلا عن إباحة اللواط والسحاق، وغير ذلك مما ترفضه الفطرة السليمة، بينما نجد في الإسلام القيم والأسس التي على أساسها تنطلق المرأة في بناء المجتمع من خلال تنشئة أجيال تنفع نفسها ومجتمعها وتستطيع مواجهة الأزمات التي تتعرض الأسرة لها.

وقد صدق القائل:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق

الإسلام وتكريم المرأة:

كان الإسلام أول من كرم المرأة وأعطاها حقوقا لم تحصل عليها من قبل ولم تحصل على بعضها إلى الآن في أية دولة من دول عالم اليوم. وقد كانت المرأة في الجاهلية والكثير من الدول والحضارات القديمة لا تعد من الآدميين وأنها لم تخلق إلا للإنجاب ولإمتاع الرجل. ولم يكن لها أي حقوق اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو غيرها. وكانت تعد في بعض المجتمعات متاعا تورث فهي لم ينظر إليها على أنها إنسان، وقد أكد الإسلام من خلال الكتاب والسنة أنها إنسان كامل الإنسانية والأهلية وأنها جزء لا يتجزأ من الرجل ولها كل حقوق الرجل. ويكفى الرجوع إلى أول آية في سورة النساء **قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (٨)**

ومن أهم الحقوق التي أكد الإسلام عليها للمرأة الحق في الحياة فقد كان المجتمع الجاهلي قبل الإسلام يئد أو يقتل المواليد الإناث ويتشاءمون منهن. **قال تعالى (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (٩)**

قال عبد الله بن مسعود أنه سأل الرسول ﷺ : أي الذنوب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ابن مسعود: ثم أي قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك. وقال تعالى (إِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) (التكوير ٨)

وقد أكد الإسلام على حقوق المرأة بنتا وزوجة وأما؛ وعلى حقها في التمتع بالعدل في التعامل داخل الأسرة والمجتمع والعمل تماما مثل الرجل.

قال تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١٠)

وقد أكد رسولنا ﷺ أن النساء شقائق الرجال. كما أكد الإسلام الحقوق الاقتصادية للمرأة تماما مثل حقوق الرجل؛ ومنها حق العمل واكتساب الأجر وحق الملكية والبيع والشراء والهبة والرهن وكل التعاملات الاقتصادية الأخرى. وأكد الإسلام أيضا حق المرأة فى تقاضى المهر أو الصداق لنفسها. **قال تعالى (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) (١١)**. والمرأة في كل أطوارها تتمتع بالإنفاق عليها من رجل مهما كان دخلها من الأب أو من الزوج أو من الأخ أو من الجد ... الخ. والمرأة لها حق الميراث حسب ما جاء فى سورة النساء **قال تعالى: (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) (النساء ٧)**

وإذا كان الإسلام قد منح القوامة للرجل فإن ذلك يعد في صالح المرأة، فالقوامة تعنى الإنفاق على المرأة وحمايتها ورعايتها والمسئولية عنها مسئولية كاملة. **قال تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ) (النساء ٣٤).**

ليس هذا فقط، فقد منح الإسلام المرأة حقوقا سياسية كاملة تماما مثل الرجل؛ فالمرأة لها حقوق تولى كل المواقع والمناصب الكبرى في المجتمع، وحق الترشيح للمواقع التي تتحقق بالانتخاب، وحق الترشح للمواقع الكبرى، وحق مبايعة الحاكم، وقد ذهبت بعض النساء لمبايعة الرسول ﷺ نفسه **قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ**

أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الممتحنة ١٢).

كل هذه الحقوق إلى جانب حق المرأة في التعليم والخروج للعمل والكسب وتملك المؤسسات المنتجة أو التي تؤدى خدمات كالمدارس والمستشفيات ومؤسسات الرعاية الاجتماعية أو الثقافية كما أن والمرأة في الإسلام مطالبة بالتقوى والإيمان وأداء الفرائض تماما مثل الرجل.

وأن أبرز ملامح تكريم المرأة في الإسلام تخصيص سورة كاملة عن النساء وسورة أخرى وهي الطلاق ولم تخصص سورة للرجال. **وعندما سؤل الرسول ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من قال أبوك.**

ومظاهر تكريم الإسلام للمرأة لا يمكن حصرها فقد جعل الله الزواج منها آية من آيات الله قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١٣).

وقد كرر الرسول ﷺ التوصية بالنساء كثيرا وكان آخرها في حجة الوداع حيث قال (استوصوا بالنساء خيرا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله)

يتضح من كل ما سبق أن الإسلام أكد على أهمية الأسرة ورعاية وتكريم المرأة وحصولها على كل حقوق الإنسان وكل الحريات والكرامة الإنسانية وأنهن شقائق الرجال، وهذا لم يتحقق في أي مجتمع حتى اليوم. فالباحث في شئون المرأة في انجلترا يجد أنها كانت تباع وأن من حق الزوج أن يبيع زوجته إذا أراد منذ عدة قرون قليلة وأنه في فرنسا حتى عصر قريب لم تكن يسمح لها بالمعاملات الاقتصادية مثل البنوك ولابد أن يوقع الرجال

أب، أو زوج، أو أخ، أو ابن. (١٤) وحتى اليوم يباع جسد المرأة في الغرب مقابل مال وتحصل المرأة على أجر أقل من الرجل إلى جانب السماح بالزواج المثلى والملبس الفاضح وغير ذلك الكثير والكثير كل هذا يؤكد أن تاريخ الميلاد الصحيح لبناء أسرة فاضلة ولكرامة المرأة وحقوقها هو الإسلام(١٥).

ولا شك أن المرأة هي أساس نجاح وفلاح الرجل والأسرة والأبناء والمجتمع والدولة والإنسانية **واختم بقول الله سبحانه و تعالى في سورة الأحزاب (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب ٣٥) و قال تعالى في سورة التوبة: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة ٧١) صدق الله العظيم**

والله ولي التوفيق،،،

أهم المراجع

١- إبراهيم أبو محمد مفتي استراليا المرأة بين حضارتين
٢- جعفر عبد السلام وآخرون الأسرة المسلمة ومتغيرات الواقع المعاصر مركز دراسات الأسرة رابطة الجامعات: ٢٠١٧م
٣- خديجة النبراوي: المرأة المسلمة ودورها في النهضة الحضارية مركز دراسات الأسرة رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٩م
٤- مركز دراسات الأسرة رابطة الجامعات د جعفر عبد السلام وآخرين: الاجتهاد في قضايا الأسرة ٢٠٠٧م
٥- نبيل السمالوطي: العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠١٥م
٦- نبيل السمالوطي النموذج الإسلامي في التنشئة الاجتماعية: الاجتهاد في قضايا الأسرة مصدر سابق ٢٩٦٧ ص ٢٩-٦٧
٧- نبيل السمالوطي العلوم الاجتماعية في مصر بين التغريب والتوطين رابطة الجامعات ٢٠١٨.م
٨- نبيل السمالوطي بناء المجتمع الإسلامي ونظمه دار الشروق جده ١٩٨٨م والجزء الرابع رابطة الجامعات الإسلامية
٩- سورة النساء آية ١
١٠- الزخرف ١٧
١١- التكوير ٨
١٢- البقرة ٢٢٨
١٣- النساء ٤
١٤- النساء ٧
١٥- النساء ٣٤
١٦- الممتحنة ١٢
١٧- الروم ٢١